محمد عطية الإبراشي

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ملتزمة الطبع والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بُنَيَّ العزيز :

لَقَدْ عَرَفْتَ كَثِيرًا عَنْ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ ، وَحَياتِهِ فى طُفُولَتِهِ ، وَتَرْبِيَتِهِ وَإِسْلامِهِ ، وَسَأَقُصُّ عَلَيْكَ فى هٰذَا الْكِتَابِ قِصَصًا تَدُلُّ عَلى شَجَاعَتِهِ وَبُطُولَتِهِ .

خالِدٌ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ :

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ خالِدٌ أَرْسَلَهُ رَسولُ اللهِ جُنْدِيًّا مَعَ جَيْشِ المُسْلِمِينَ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ لِمُحارَبَةِ الرُّومَانِ . وَعَيَّنَ الرَّسولُ ﷺ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ قائدًا لِهٰذَا الجَيْشِ . وَهُوَ عَبْدٌ مِنَ العَبِيدِ . فَلَمْ يَعْتَرِضْ خالِدٌ. وَهُوَ مِنْ أَشْرافِ العَرَبِ . عَلَى أَنْ يَكُونَ رَئِيسُهُ عَبْدًا، وَهذَا مَثَلٌ عَالٍ لِلدِّيمُقْراطِيَّةِ) فى الإِسْلام

فَبَعْدَ أَنْ قُتِلَ زَيْدٌ شَهِيدًا ، قَادَ الجَيْشَ مَنْ عَيَّنَهُ رَسولُ اللهِ لِقِيَادَتِهِ ، حَتَّى اسْتُشْهِدَ جَمِيعُهُمْ . فَتَشاوَرَ الجُنودُ

فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَاخْتارُوا خالِدًا لِيَكُونَ قائِدًا لِجُيوشِ المُسْلِمينَ ؛ لِأَنَّهُ كانَ أَكْثَرَهُمْ عِلْمًا بِالفُنُونِ الحَرْبِيَّةِ ، وَأَعْظَمَهُمْ شَجاعَةً فى القِتَالِ .

أَخَذَ خالِدٌ رَايَةَ الإِسْلامِ ، وَصارَ قائِدًا لِلْجَيْشِ بَعْدَ أَنْ كانَ جُنْدِيًّا . وَفى الْحالِ نَظَّمَ العَسْكَرَ تَنْظِيمًا جَدِيدًا ، ثُمَّ قاتَلَ قِتالاً شَدِيدًا ، وَاسْتَمَرَّ يُحارِبُ الأَعْدَاءَ بِقُوَّةٍ وشَجاعَةٍ ، حَتى هَرَبُوا ، وَهَزَمَ اللهُ الرُّومَ شَرَّ هَزِيمَةٍ . فَلَمْ يَتْبَعْهُمْ خالِدٌ ، وَرَأَى أَنَّ مِنَ الحِكْمَةِ الرُّجُوعَ بِالمُسْلِمينَ ؛ لِأَنَّ عَدَدَهُمْ كانَ قَلِيلاً بِالنِّسْبَةِ لِعَدَدِ الرُّومِ وَالكُفَّارِ مِنَ العَرَبِ . فَأَخَذَ جُنُودَهُ ، وَرَجَعَ بِهِمْ إِلَى رَسولِ اللهِ فى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَفى هذِهِ الحَرْبِ[1] سَمَّاهُ رَسولُ اللهِ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِ اللهِ . وَقالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ ،

---

(١) كانَتِ الحَرْبُ بِقَرْيَةِ مُؤْتَةَ مِن بلادِ الشامِ ، الَّتى كانَ يَحكُمُها الرُّومانُ فى ذلِكَ الوَقتِ .

فَأَنْتَ تَنْصُرُهُ » وَمُنْذُ ذٰلِكَ الوَقْتِ سُمِّىَ خالِدٌ سَيْفَ اللهِ المَسْلُولَ[1] .

اِشْتِراكُ خالِدٍ فى فَتْحِ مَكَّةَ :

نَقَضَتْ قُرَيْشٌ عَهْدَها مَعَ رَسولِ اللهِ ، وَقَتَلَتْ كَثِيرِينَ مِنَ المُسْلِمِينَ ظُلْمًا ، فَتَأَلَّمَ الرَّسُولُ ؛ لِأَنَّهُمْ خالَفُوا مَا وَعَدُوا بِهِ ؛ وَقَتَلُوا المُسْلِمِينَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، فَأَشارَ عَلَيْهِ أَصْحابُهُ بِفَتْحِ مَكَّةَ ، فَأَخَذَ بِرَأْيِهِمْ ، وأَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالمَدِينَةِ بِأَنْ يَسْتَعِدَّ كُلٌّ مِنْهُمْ ، وأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُ ذَاهِبٌ إِلَى مَكَّةَ لِيَفْتَحَهَا . وَقالَ : « اللَّهُمَّ خُذِ العُيونَ وَالأَخْبارَ عَنْ قُرَيْشٍ ، حَتَّى نَبْغَتَها (نُفاجِئَهَا) فى بِلادِهَا » وَبِهٰذَا أَرادَ الرَّسولُ الحَكِيمُ أَنْ تَكُونَ رِحْلَتُهُ سِرِّيَّةً ، وَأَنْ يَدْخُلَ مَكَّةَ سِرًّا ، وَأَنْ يُفاجِئَ قُرَيْشًا وَيَلْقاهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ؛ حَتَّى يَفْتَحَ مَكَّةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا .

---

(١) المُعَدّ دائمًا لِلقتالِ .

اِجْتَمَعَ مَعَ رَسولِ اللهِ عَشَرَةُ آلافٍ مِنْ جُنودِ المُسْلِمينَ ، المُجاهِدِينَ فى سَبِيلِ اللهِ ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، أَكْثَرَ مِنْ حُبِّهِمْ لِلْحَياةِ . وَاسْتَعَدَّ الجُنُودُ لِلسَّفَرِ وَالجِهَادِ فى سَبِيلِ نُصْرَةِ الإِسْلام .

جَلَسَ رَسولُ اللهِ ، وَحَوْلَهُ أَصْحابُهُ ، وَنَظَّمَ خُطَّتَهُ الحَرْبِيَّةَ ، وَعَيَّنَ الْقُوَّادَ فى جَيْشِهِ . وَلِثِقَتِهِ بِخالِدٍ وَبُطولَتِهِ جَعَلَهُ قائِدًا لِثُلُثِ الجَيْشِ ، وَأَمَرَ القُوَّادَ أَلاَّ يَقْتُلوا أَحَدًا إلاَّ إذا قاتَلَهُمْ .

وَقَدْ نَفَّذَ خالِدٌ أَمْرَ الرَّسولِ ، وَجاءَ بِجُنُودِهِ مِنَ المُسْلِمينَ إِلَى مَكَّةَ ، وَاضْطُرَّ أَنْ يُقاتِلَ مَنْ قاتَلَهُ . وَسَأَلَهُ الرَّسولُ : لِمْ (لِماذا) قاتَلْتَ ، وَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ القِتالِ؟

فَأَجابَ خالِدٌ : هُمْ بَدَءوا وَوَضَعُوا فِينَا السِّلاحَ ، وَقَدْ مَنَعْتُ نَفْسِى بِقَدْرِ مَا اسْتَطَعْتُ .

فَقالَ رَسولُ اللهِ : قَضاءُ اللهِ خَيْرٌ .

وَدَخَلَ المُسْلِمُونَ مَكَّةَ مِنْ جِهاتِها الأَرْبَعِ ، وَدَخَلُوا

المَسْجِدَ الحَرَامَ ، وَهُمْ مُنْتَصِرُونَ . وَتَحَقَّقَ حُلمُ الرَّسولِ فى قَوْلِهُ تعالَى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسولَهُ الرُّؤْيا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ...﴾

ثُمَّ قالَ الرَّسولُ فى خُطْبَةٍ لهُ : يا مَعْشَرَ (جَمَاعَة) قُرَيْشٍ ، ما تَظُنُّونَ أنِّى فاعِلٌ بِكُمْ ؟ قالُوا : خَيْرًا . أخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أخٍ كَرِيمٍ .

فَدَعَا لَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ ، وَقالَ : اِذْهَبُوا فَأنْتُمُ الطُّلَقاءُ (الأحْرارُ) .

دَخَلَ الرَّسولُ البَيْتَ الحَرَامَ ، فَأزَالَ ما كانَ بِهِ مِنَ التَّماثِيلِ وَالأصْنامِ . وَبَايَعَ النَّاسُ النَّبِّىَ . وَقَدْ أسْلَمَ فى ذلِكَ اليَوْمِ مُعْظَمُ قُرَيْشٍ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ .

وَبَعْدَ خَمْسَةِ أيَّامٍ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ اِخْتَارَ رَسولُ اللهِ خالِدًا ، وَأرْسَلَهُ لِهَدْمِ العُزَّى ، وَهِىَ أعْظَمُ الأصْنامِ عِنْدَ قُرَيْشٍ ، فَهَدَمَها خالِدٌ ، فَسُرَّ مِنْهُ رَسولُ اللهِ ، وَقَرَّبَ بَطَلَ الإسْلامِ مِنْهُ ، وَأكْرَمَهُ كُلَّ الإكْرامِ .

الحُروبُ الَّتِى اشْتَرَكَ فيهَا خالِدٌ زَمَنَ الرَّسول :

جَعَلَ رَسولُ اللهِ خالِدًا فى مُقَدِّمَةِ الجَيْشِ الَّذِى سَارَ بِهِ الرَّسولُ إلَى قَبيلَةِ هَوَازِنَ[1] ؛ لِدَعْوَتِهَا إلَى الإسْلامِ . وَقَدْ وَصَلَ الرَّسولُ إلى حُنَيْنٍ – وَهُوَوَادٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ – وَفى هذِهِ الغَزْوَةِ (الحَرْب) اغْتَرَّ جَيْشُ المُسْلِمينَ بِكَثْرَةِ عَدَدِهِ ، وَاعْتَمَدَ عَلَى قُوَّتِهِ ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ دَرْسًا ؛ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ الانْتِصَارَ فى الحُروبِ لا يَتوقَّفُ عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِ الجُنودِ ، وَقُوَّتِهِم الجِسْمِيَّةِ ، وَلكِنَّ الانْتِصَارَ لا يَتَحَقَّقُ إلاَّ إذَا حارَبَ الجُنودُ بِإيمَانٍ ثابِتٍ . وَقَدْ أُخِذَ المُسْلِمونَ عَلَى غَفْلَةٍ ، وَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كَمِينٌ مِنَ العَدُوِّ المُخْتَفِى ، فَارْتَبَكَ المُسْلِمونَ ، وَاضْطَرَبُوا ،

---

(١) هَوازِنُ : قَبيلَةٌ مِنَ القبائِلِ العَرَبيَّة الكبيرة .

فَهُزِموا أوَّلاً فى حُنَيْنٍ ، ثُمَّ انْتَصرُوا فى النِّهايَةِ ، فَقَدْ ثَبتَ رَسولُ اللهِ ﷺ فى مَوْضِعِه ، وَكانَ مَثَلاً عالِيًا لِلشَّجاعَةِ العَظِيمَةِ ، وَالثَّباتِ النَّادِرِ ، وَالصَّبْرِ .

وَالْتَفَّ المُسْلِمونَ حَوْلَهُ ، وَحارَبُوا حَرْبَ إيمانٍ قَوِيٍّ ، فَهُزِمَتْ قَبِيلَةُ هَوازِنَ ، ثُمَّ أسْلَمَتْ فِيما بَعْدُ .

وَفى ذلِكَ قالَ تعالَى :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فى مَوَاطِنَ(١) كَثِيرَةٍ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ(٢) ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُم شَيْئًا ، وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرْضُ بِما رَحُبَتْ(٣) ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ(٤) * ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ(٥) عَلَى رَسولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأنْزَلَ جُنُودًا(٦) لَمْ تَرَوْهَا، وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا(٧) ، وَذلِكَ جَزاءُ الكافِرِينَ(٨) ﴾

---

(١) حُروب .   (٢) كان المسلمونَ ١٢ ألفًا ، والكفّارُ أربعةَ آلاف .

(٣) مَعَ سَعَتِها .   (٤) مُنهزِمينَ .   (٥) طُمَأْنِينَته .   (٦) ملائكة .

(٧) بِالقَتلِ وَالأسْرِ .   (٨) سورَة التَّوبة (الآيتان : ٢٥ ، ٢٦)

وَقَدْ غَنِمَ المُسْلِمونَ مِنْ هـذِهِ الحَرْبِ غَنَائِـمَ كَثِيرَةً . وَقَدْ جُرِحَ خالِدٌ فِيها ، وَكَثُرَتْ جُرُوحُهُ ، فَزارَهُ رَسولُ اللهِ فِى مَسْكَنِهِ ؛ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ . وَنَفَخَ فِى جرُوحِهِ ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالشِّفاءِ .

مُحارَبَةُ ثَقِيفٍ فى الطَّائِفِ :

وَإِنَّ الجُروحَ الَّتِى جُرِحَ بِها خالِدٌ لَمْ تَمْنَعْهُ مِنَ السَّيْرِ فى طَلِيعَةِ (مُقَدَّمَة) الجَيْشِ حِينَمَا سَارَ رَسولُ اللهِ لِمُحارَبَةِ ثَقِيفٍ فى الطَّائِفِ . وَقَدْ حاصَرَهُمْ خالِدٌ فى حُصُونِهِمْ ١٨ يَوْمًا ، وَكانَ يُنادِى فى أَثْنائِها : هَلْ مِنْ مُبارِزٍ ؟ فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ . وَأَخِيرًا نادَاهُ رَئِيسُها قائِلاً : لا يَنْزِلُ إِلَيْكَ مِنَّا أَحَدٌ ، وَلَكِن نُقِيـمُ فى حِصْنِنَا ؛ فَإِنَّ فِيهِ مِنَ الطَّعامِ مَا يَكْفِينَا سِنِينَ .

ذَهابُ خالِدٍ إلَى بَنِى المُصْطَلِقِ :

قَدْ سَمِعَ رَسولُ اللهِ أنَّ بَنِى المُصْطَلِقِ اِرْتَدُّوا عَنِ الإسْلامِ ، فَأرْسَلَ إلَيْهِمْ خالِدًا لِحَزْمِهِ ، وَبُعْدِ نَظَرِهِ ؛ كَىْ يَتَثَبَّتَ مِنْ إسْلامِهِمْ ، وَأمَرَهُ ألاَّ يَتَسَرَّعَ ، وَأنْ يَنْظُرَ إلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّلاةِ ، فَإنْ كانُوا قَدْ تَرَكُوهَا فَشَأْنُهُ بِهِمْ .

فَذَهَبَ خالِدٌ ، حَتَّى أتاهُمْ لَيْلاً ، فَأرْسَلَ الكَشَّافِينَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إلَيْهِ أخْبَرُوهُ بِأنَّهُمْ مُحافِظُونَ عَلَى الإسْلامِ . وَقَدْ سَمِعُوهُمْ وَهُمْ يُؤَذِّنُونَ لِلصَّلاةِ ، وَرَأَوْهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ .

وَفِى الصَّباحِ ذَهَبَ إلَيْهِمْ خالِدٌ ، فَرَأى مِنْهُمْ ما أُعْجِبَ بِهِ . فَرَجَعَ إلَى النَّبِىِّ ﷺ ، وأخْبَرَهُ الخَبَرَ ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعالَى :

﴿ يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ[١] فَتَبَيَّنُوا[٢] ، أَنْ تُصِيبُوا[٣] قَوْمًا بِجَهالَةٍ[٤] ، فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ[٥] ﴾ .

مُحارَبَةُ خالِدٍ لِأُكَيْدِرٍ :

أَرْسَلَ الرَّسولُ خالِدًا إلَى أُكَيْدِرٍ صَاحِبِ دُومَةِ الجَنْدَلِ[٦] ، وَمَعَهُ ٤٢٠ فارِسًا . وَكانَ أُكَيْدِرٌ مُحِبًّا لِصَيْدِ الْبَقَرِ الوَحْشِيِّ .

سَافَرَ خالِدٌ بِفُرسانِهِ إلَى دُومَةَ ، فَأَخَذَ البَقَرَ فى طَرِيقِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إلَى دُومَةَ ، وَأَخذَ البَقَرُ يَحْتَكُّ بِحائِطِ بَيْتِ أُكَيْدِرٍ . فَرَأتْ زَوْجَتُهُ البَقَرَ ، فَقالَتْ لِزَوْجِها : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هذا ؟

فَقالَ أُكَيْدِرٌ : لاَ . فَقالَتْ : مَنْ يَتْرُكُ هذَا البَقَرَ ؟

---

(١) خَبَر . (٢) فَتَثَبَّتُوا ، وَتَحَقَّقُوا مِن صِدقِهِ . (٣) مَخَافَةَ أن تُصيبُوا .
(٤) جاهِلين . (٥) سورَةُ الحُجرات . (٦) قرية فى طَرَفِ الشام ، بينها وبَينَ المدينةِ ١٥ ليلةً بِالجَمَلِ .

قالَ الزَّوْجُ : لا أحَدَ .

وَكانَت اللَّيْلَةُ مُقمِرَةً مِن لَيالِي الصَّيْفِ . فَرَكِبَ أُكَيْدِرٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أهْلِهِ ، فِيهِمْ أخُوهُ حَسَّانٌ .

وَقَدْ خَرَجُوا مَعَهُ لِلصَّيْد ، وَأسْلِحَتُهُمْ فى أيْدِيهِمْ . فَأُسِرَ أُكَيْدِرٌ ، وَقاتَلَ أخُوهُ حَسَّانٌ حَتَّى قُتِلَ ، وَهَرَبَ مَنْ كانُوا مَعَهُما . وأنْقَذَ خالِدٌ أُكَيْدِرًا حَتَّى يَأْخُذَهُ إلَى رَسولِ اللهِ . وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أنْ يَفْتَحَ لَهُ دُومَةَ الجَنْدَلِ ، فَفَعَلَ . وَصَالَحَهُ عَلَى ألْفَىْ جَمَلٍ ، وَثمانِمائَةِ رَأْسٍ مِنَ الغَنَمِ ، و ٤٠٠ دِرْعٍ [١] ، و ٤٠٠ رُمْحٍ [٢] .

ثُمَّ خَرَجَ خالِدٌ بِأُكَيْدِرٍ وَأخٍ آخَرَ لَهُ، وَبِمَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ، وَرَجَعَ إلَى رَسولِ اللهِ بِالمَدِينَةِ، فَصَالَحَهُ الرَّسولُ عَلَى الجِزْيَةِ [٣] ، وَأطْلَقَ سَرَاحَهُ وَسَرَاحَ أخِيهِ ، وَكَتَبَ لَهُ رَسولُ اللهِ كِتابًا فِيهِ شُروطُ الصُّلْحِ .

---

(١) آلةٌ مِنَ الحَديدِ للحَربِ .

(٢) نوع مِن أدواتِ الحَربِ .

(٣) ما يُؤخذُ كلَّ عامٍ مِنَ التعويضات .